كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية
إلى العارف باللّه الشيخ نصر المنبجى

قال الراوى : كتاب كتبه الشيخ الإمام وحيد دهره ، وفريد عصره ، علاَّمة زمانه ، ناصر السُّنة ، مؤيد الشريعة ، شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحرَّانى ، فسح اللّه تعالى فى مدته ، وأعاد علينا من بركته - إلى الشيخ القدوة أبى الفتح نصر المنبجى سنة أربع وسبعمائة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

من أحمد بن تيمية إلى الشيخ العارف القدوة السالك الناسك أبى الفتح نصر ، فتح اللّه على باطنه وظاهره ما فتح به على قلوب أوليائه . ونصره على شياطين الإنس والجن فى جهره وإخفائه ، ونهج به الطريقة المحمدية الموافقة لشرعته ، وكشف به الحقيقة الدينية المميزة بين خلقه وطاعته ، وإرادته ومحبته . حتى يظهر للناس الفرق بين الكلمات الكونية والكلمات الدينية ، وبين المؤمنين الصادقين الصالحين ، ومَن تشبَّه بهم من المنافقين ، كما فرَّق اللّه بينهما فى كتابه وسُنَّته .

● محبة الإيمان ومحبة الصوفية :

أما بعد .. فإنَّ اللّه تعالى قد أنعم على الشيخ وأنعم به نعمة باطنة وظاهرة فى الدين والدنيا ، وجعل له عند خاصة المسلمين الذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً منزِّلة علية ، ومودَّة إليه لما منحه اللّه تعالى به من حسن المعرفة والقصد ، فإن العلم والإرادة ، أصل لطريق الهدى والعبادة . وقد بعث

اللّه محمداً ﷺ بأكمل محبة فى أكمل معرفة ، فأخرج بمحبة اللّه ورسوله التى هى أصل الأعمال ، المحبة التى فيها إشراك وإجمال ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (٢) .

ولهذا كانت المحبة الإيمانية هى الموجبة للذوق الإيمانى والوَجد الدينى كما فى الصحيحين عن أنس قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ثلاث مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان فى قلبه : مَن كان اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومَن كان يحب المرء لا يحبه إلاّ للّه ، ومَن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد أن أنقذه اللّه منه كما يكره أن يُلقَى فى النار » ، فجعل صلى اللّه تعالى عليه وسلم وجود حلاوة الإيمان معلّقاً بمحبة اللّه ورسوله الفاضلة وبالمحبة فيه فى اللّه وبكراهة ضد الإيمان .

وفى صحيح مسلم عن العباس قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ذاق طعم الإيمان مَن رَضِىَ باللّه رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً » ، فجعل ذوق طعم الإيمان معلقاً بالرضا بهذه الأصول كما جعل الوَجد معلقاً بالمحبة ليفرّق صلى اللّه تعالى عليه وسلم بين الذّوق والوَجد الذى هو أصل الأعمال الظاهرة وثمرة الأعمال الباطنة ، وبين ما أمر اللّه به ورسوله وبين غيره كما قال سهل بن عبد اللّه التسترى (٣) : كل وَجدٌ لا يشهد له الكتاب والسُّنة فهو باطل ، إذ كان كل مَن أحب شيئاً فله ذوق بحسب محبته .

---

(١) البقرة : ١٦٥ (٢) التوبة : ٢٤

(٣) سهل التسترى : توفى عام ٢٨٣ هـ ، من كبار الصوفيين ، ولد فى تستر ببلاد الأهواز ، وتوفى منفياً بالبصرة لقوله ان التوبة فريضة ، له « تفسير القرآن العظيم » ، و « مجموعة أجوبة » نقلها محمد بن سالم مؤسس مذهب السالمية ، من تلاميذه الحلاج (البلتاجى) .

● علامة محبة الإيمان :

ولهذا طالب الله تعالى مُدَّعى محبته بقوله : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (١) . قال الحسن البصرى (٢) : ادعى قوم على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله فطالبهم بهذه الآية فجعل محبة العبد لله موجبة لمتابعة رسوله ، وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الرب عبده ، وقد ذكر نعت المحبين فى قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ (٣) ، فنعت المحبين المحبوبين بوصف الكمال الذى نَعَتَ الله به رسوله الجامع بين معنى الجلال والجمال المفرَّق فى الملتين ، قلنا (؟) وهو الشدة والعزة على أعداء الله ، والذلة والرحمة لأولياء الله ورسوله ، ولهذا يوجد كثير ممن له وَجد وحب مجمل مطلق كما قال فيه كبير من كبرائهم :

مشـــرد عن الوطن مبعد عن السكن

يبكى الطلول والدمن يهوى ولايدرى لمن

فالشيخ أحسن الله إليه قد جُعِلَ فيه من النور والمعرفة الذى هو أصل المحبة والإرادة ما تتميز به المحبة الإيمانية المحمدية المفصلة ، عن المجملة المشتركة .

---

(١) آل عمران : ٣١

(٢) الحسن البصرى : أبو سعيد ، توفى عام ١١٠ هـ ، تابعى من مشاهير الثقات ، ولد فى المدينة وأقام فى البصرة وفيها توفى ، لقى عثمان بن عفان وعبد الله بن العباس ، كان فريداً فى معرفة الأحكام الشرعية والتدريس والوعظ والحديث ، أثر تأثيراً عظيماً فى جيله من المسلمين ، وعنه اعتزل واصل بن عطاء الذى غدا رأس المعتزلة ، له مكانة عظيمة فى التصوف (البلتاجى) .

(٣) المائدة : ٥٤

● سورة الفاتحة بين الرب والعبد :

وكما يقع هذا الإجمال فى المحبة يقع أيضاً فى التوحيد ، قال الله تعالى فى أم الكتاب التى هى مفروضة على العبد وواجبة فى كل صلاة أن يقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح أنَّ الله يقول : « قسمتُ الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، نصفها لى ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل ، فاذا قال العبد : ﴿ الحَمْدُ للَّه رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ قال الله : حمدنى عبدى ، وإذا قال : ﴿ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ قال الله : أثنى علىَّ عبدى ، وإذا قال : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال : مجدنى عبدى - أو قال فوَّض إلىَّ عبدى ، وإذا قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال : فهذه الآية بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ما سأل ، فاذا قال : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ قال : فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل » .

ولهذا رُوِىَ أنَّ الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب ، جمع معانيها فى القرآن ، ومعانى القرآن فى المفصَّل ، ومعانى المفصَّل فى أم الكتاب ، ومعانى أم الكتاب فى هاتين الكلمتين : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، وهذا المعنى قد ثنَّاه الله فى مثل قوله : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ (١) ، وفى مثل قوله : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (٣) ، وكان النبى ﷺ يقول فى نُسكه : « اللَّهم هذا منك وإليك » . فهو سبحانه مستحق التوحيد الذى هو دعاؤه وإخلاص الدين له دعاء العباد بالمحبة والإنابة والطاعة والإجلال والإكرام والخشية والرجاء ، ونحو ذلك من معانى تألهه وعبادته

---

(١) هود : ١٢٣ (٢) الشورى : ١٠ (٣) الرعد : ٣٠

ودعاء المسألة والاستعانة بالتوكل عليه ، والالتجاء إليه ، والسؤال له ، ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته ، وهو سبحانه الأول والآخر والباطن والظاهر .

ولهذا جاءت الشريعة الكاملة فى العبادة باسم الله ، وفى السؤال باسم الرب ، فيقول المصلى والذاكر : الله اكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلاّ الله ، وكلمات الأذان : الله اكبر الله اكبر .... إلى آخرها ، ونحو ذلك .

وفى السؤال : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ (١) ، ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ ﴾ (٢) ، ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣) ، ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى ﴾ (٤) ، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ (٥) ، ﴿ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٦) ..... ونحو ذلك .

● التوحيد وشوائب الشرك والقَدَر والإباحة فيه :

وكثير من المتوجهين السالكين يشهد فى سلوكه الربوبية والقيومية الكاملة الشاملة لكل مخلوق من الأعيان والصفات ، وهذه الأمور قائمة بكلمات الله الكونية التى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستعيذ بها فيقول : « أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن » ، فيغيب ويفنى بهذا التوحيد الربانى عما هو مأمور به أيضاً ومطلوبه وهو محبوب الحق ومرضيه من التوحيد الإلهى الذى هو عبادته وحده لا شريك له ، وطاعته وطاعة رسوله ، والأمر بما أمر به ، والنهى عما

---

(١) الأعراف : ٢٣ (٢) نوح : ٢٨ (٣) القصص : ١٧
(٤) القصص : ١٦ (٥) آل عمران : ١٤٧ (٦) المؤمنون : ١١٨

نهى عنه ، والحب فيه ، والبُغض فيه ، وَمن أعرض عن هذا التوحيد وأخذ بالأول فهو يشبه القدرية المشركية الذين قالوا : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ (١) ، ومَن أخذ بالثانى دون الأول فهو من القدرية المجوسية الذين يزعمون أنَّ اللّه لم يخلق أفعال العباد ، ولا شاء جميع الكائنات كما تقول المعتزلة والرافضة (٢) ويقع فى كلام كثير من المتكلمة والمتفقهة . والأول ذهب إليه طوائف من الإباحية المنحلّين عن الأوامر والنواهى ، وإنما يستعملون ذلك عند أهوائهم وإلا فهو لا يستمر ، وهو كثير فى المتألهة الخارجين عن الشريعة خفو العدو (؟) وغيرهم ، فإن لهم زهادات وعبادات فيها ما هو غير مأمور به فيفيدهم أحوالاً فيها ماهو فاسد يشبهون من بعض الوجوه الرهبان وعبّاد البدود (٣) .

● مقاومة المقَدَّر غير المشروع :

ولهذا قال الشيخ عبد القادر قدّس اللّه روحه : كثير من الرجال إذا دخلوا إلى القضاء والقَدَر أمسكوا ، وأنا انفتحت لى فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ، والولى مَن يكون منازعاً للقَدَر لا مَن يكون موافقاً له . وهذا الذي قاله الشيخ تكلم به على لسان المحمدية (٤) ، أى أن المسلم مأمور أن يفعل ما أمر اللّه به ، ويدفع ما نهى اللّه عنه ، وإن كانت أسبابه قد قُدِّرت ، فيدفع قَدَر اللّه بقَدَر اللّه كما جاء فى الحديث الذى رواه الطبرانى فى كتاب الدعاء عن النبى ﷺ : « إنَّ الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والأرض » ، وفى الترمذى :

---

(١) الأنعام : ١٤٨

(٢) المعتزلة : جماعة من المسلمين اعتمدوا على المنطق والقياس فى مناقشة القضايا الكلامية ، أهم تعاليمهم : أن مقترف الكبيرة ليس بالكافر ولا بالمؤمن بل فى منزلة بين المنزلتين : حرية الاختيار ، أى أن الإنسان ذو إرادة حرة وليس مجبراً على إتيان أعماله ، خلق القرآن . كما ناقشوا قضايا التوحيد والعدل والصفات الإلهية .

وأشهر المعتزلة : واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد اللذان انفصلا عن الحسن البصرى .

وانظر فى تعريف الرافضة هامش ص ٩١ من هذا الجزء (البلتاجى) .

(٣) الظاهر أن البدود جمع « بُد » - بالضم . وذكروا أن جمعه : « بددة وأبداد » ، وبوت بالفارسية الصنم .

(٤) كذا ولعل أصله : الشريعة المحمدية .

قيل يا رسول الله ، أرأيت أدوية نتداوى بها ، ورُقىً نسترقى بها ، وتُقىً نتقيها ، هل ترد من قَدَر الله شيئاً ؟ فقال : « هُنَّ من قَدَر الله » [1] ، وإلى هذين المعنيين أشار الحديث الذى رواه الطبرانى أيضاً عن النبى ﷺ أنه قال : « يقول الله : يابن آدم ، إنما هى أربع : واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة بينى وبينك ، وواحدة بينك وبين خلقى ، فأما التى لى : فتعبدنى لا تُشرك بى شيئاً ، وأما التى لك فعملك أجزيك به أحوج ما تكون إليه ، وأما التى هى بينى وبينك فمنك الدعاء وعلىّ الإجابة ، وأما التى بينك وبين خلقى فأت إلى الناس بما تحب أن يؤتوه إليك » .

● التوحيد بنوعيه ومقاماته ووحدة دين الأنبياء :

ثم إنَّ التوحيد الجامع لتوحيد الألوهية والربوبية أو توحيد أحدهما للعبد فيه ثلاث مقامات .

أحدها : مقام الفرق والكثرة بإنعامه (؟) من كثرة المخلوقات والمأمورات .

والثانى : مقام الجمع والفناء بحيث يغيب بمشهوده عن شهوده ، وبمعبوده عن عبادته ، وبموحده عن توحيده ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمحبوبه عن حبه . فهذا فناء عن إدراك السوى وهو فناء القاصرين .

وأما الفناء الكامل المحمدى .. فهو الفناء عن عبادة السوى والاستعانة بالسوى وإرادة وجه السوى ، وهذا فى الدرجة الثالثة وهو شهود التفرقة فى الجمع ، والكثرة فى الوحدة ، فيشهد قيام الكائنات مع تفرقها بإقامة الله تعالى وحده وربوبيته ، ويرى أنه ما من دابة إلاَّ ربى آخذ بناصيتها ، وأنه على كل شىء وكيل ، وأنه رب العالمين ، وأنَّ قلوب العباد ونواصيهم بيده ، لا خالق غيره ولا نافع ولا ضار ولا معطى ولا مانع ولا حافظ ولا معزَّ ولا مذل سواه . ويشهد أيضاً فعل المأمورات مع كثرتها وترك الشبهات [2] مع كثرتها لله وحده لا شريك له .

---

(١) ومنه أثر عمر فى الطاعون : نَفِرُّ من قَدَر الله إلى قَدَر الله .

(٢) لعلها المنبهات فإنها أعم .

وهذا هو الدين الجامع العام الذى اشترك فيه جميع الأنبياء ، والإسلام العام والإيمان العام ، وبه أنزلت السور المكية ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ (١) ، وبقوله : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (٢) ، وبقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ (٣) ولهذا ترجم البخارى عليه « باب ما جاء أنَّ دين الأنبياء واحد » .

وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤) فجمع فى الملل الأربع : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ وذلك قبل النسخ والتبديل وخَصَّ فى أول الآية المؤمنين ، وهو الإيمان الخاص الشرعى الذى قال فيه : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (٥) ، والشرعة هى الشريعة ، والمنهاج هو الطريقة ، والدين الجامع هو الحقيقة الدينية ، وتوحيد الربوبية هو الحقيقة الكونية ، فالحقيقة المقصودة الدينية الموجودة الكونية متفق عليها بين الأنبياء والمرسلين .

فأما الشرعة والمنهاج الإسلاميان فهو لأمة محمد ﷺ : ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (٦) ، وبها أنزلت السور المدنية إذ فى المدينة النبوية شُرِعَت الشرائع وسُنَّت السُّنَن ونزلت الأحكام والفرائض والحدود .

---

(١) الشورى : ١٣ (٢) الزخرف : ٤٥ (٣) النحل : ٣٦

(٤) البقرة : ٦٢ (٥) المائدة : ٤٨ (٦) آل عمران : ١١٠

• أصحاب الأحوال والسُكر من الصوفية :

فهذا التوحيد هو الذى جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ، وإليه تشير مشايخ الطريقة وعلماء الدين ، لكن بعض ذوى الأحوال قد يحصل له فى حال الفناء القاصر سُكر وغيبة عن السوى ، والسُكْر وَجد بلا تمييز ، فقد يقول فى تلك الحال : سبحانى ، أو ما فى الجبة إلاَّ اللّه ، أو نحو ذلك من الكلمات التى تؤثر عن أبى يزيد البسطامى أو غيره من الأصحاء . وكلمات السكران تُطوى ولا تُروَى ولا تُؤدَى إذا لم يكن سُكره بسبب محظور من عبادة أو وجه منهى عنه .

فأما إذا كان السبب محظوراً لم يكن السكران معذوراً ، لا فرق فى ذاك بين السُكر الجسمانى والروحانى ، فسُكر الأجسام بالطعام والشراب ، وسُكر النفوس بالصور ، وسُكر الأرواح بالأصوات . وفى مثل هذا الحال غَلَطَ مَن غلط بدعوى الاتحاد والحلول العينى فى مثل دعوى النصارى فى المسيح ، ودعوى الغالية فى علىٍّ وأهل البيت ، ودعوى قوم من الجهَّال الغالية فى مثل الحلاَّج أو الحاكم بمصر أو غيرهما ، وربما اشتبه عليهم الاتحاد النوعى الحكمى بالاتحاد العينى الذاتى .

فالأول كما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « يقول اللّه : عبدى ، مرضتُ فلم تعدنى ، فيقول : كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : أما علمتَ أنه مرض عبدى فلان فلو عُدْته لوجدتنى عنده . عبدى ، جُعْتُ فلم تطعمنى ، فيقول : ربى ، كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : أما علمتَ أن عبدى فلاناً جاع ، فلو أطعمته لوجدتَ ذلك عندى » ففسَّر ما تكلم به فى هذا الحديث أن جوع عبده ومحبوبه لقوله : « لوجدتَ ذلك عندى » ولم يقل : لوجدتنى قد أكلته ، ولقوله : « لوجدتنى عنده » ولم يقل : لوجدتنى إياه ، وذلك لأن المحب يتفق هو ومحبوبه بحيث يرضى أحدهما بما يرضاه الآخر ، ويأمر بما يأمر به ، ويبغض ما يبغضه ، ويكره ما يكرهه ، وينهى عما ينهى عنه .

وهؤلاء هم الذين يرضى الحق لرضاهم ويغضب لغضبهم ، والكامل المطلق فى هؤلاء محمد ﷺ ، ولهذا قال تعالى فيه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (٣) .

وقد جاء فى الإنجيل الذى بأيدى النصارى كلمات مجملة إن صَحَّ أنَّ المسيح قالها فهذا معناها كقوله : « أنا وأبى واحد . مَن رآنى فقد رأى أبى » ونحو ذلك وبها ضلت النصارى حيث اتبعوا المتشابه كما ذكر اللّه عنهم فى القرآن لما قَدِمَ وفد نجران على النبى ﷺ وناظروه فى المسيح .

وقد جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَن عادى لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة ، وما تقرَّب إلىَّ عبدى بمثل أداء ما افترضتُ عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أُحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى » ، فأخبر فى هذا الحديث أنَّ الحق سبحانه إذا تقرَّب إليه العبد بالنوافل المستحَبة التى يحبها اللّه بعد الفرائض أحبه الحق على هذا الوجه .

وقد غلط مَن زعم أنَّ هذا قُرب النوافل ، وأن قُرب الفرائض أن يكون هو إياه فإن اللّه لا يقبل نافلة حتى تؤدَّى الفريضة ، فهذا القُرب يجمع الفرائض والنوافل . فهذه المعانى وما يشبهها هى أصول مذهب أهل الطريقة الإسلامية أتباع الأنبياء والمرسلين .

---

(١) الفتح : ١٠ (٢) التوبة : ٦٢ (٣) النساء : ٨٠

● مذهب الاتحاد من الصوفية :

وقد بلغنى أنَّ بعض الناس ذكر عند خدمتكم الكلام فى مذهب الاتحادية ، وكنت قد كتبت إلى خدمتكم كتاباً اقتضى الحال من غير قصد أن أشرت فيه إشارة لطيفة إلى حال هؤلاء ، ولم يكن القصد به واللّه واحداً بعينه ، وإنما الشيخ هو مجمع المؤمنين ، فعلينا أن نعينه فى الدين والدنيا بما هو اللائق به ، وأما هؤلاء الاتحادية فقد أرسل إلىَّ الداعى مَن طلب كشف حقيقة أمرهم .

وقد كتبت فى ذلك كتاباً ربما يرسل إلى الشيخ ، وقد كتب سيدنا الشيخ عماد الدين فى ذلك رسائل واللّه تعالى يعلم ، وكفى به عليماً ، لولا أنى أرى دفع ضرر هؤلاء عن أهل طريق اللّه تعالى السالكين إليه من أعظم الواجبات - وهو شبيه بدفع التتار عن المؤمنين - لم يكن للمؤمنين باللّه ورسوله حاجة إلى أن تكشف أسرار الطريق وتهتك أستارها ، ولكن الشيخ أحسن اللّه تعالى إليه يعلم أنَّ مقصود الدعوة النبوية ، بل المقصود بخلق الخلق وإنزال الكتب وإرسال الرسل ، أن يكون الدين كله للّه هو دعوة الخلائق إلى خالقهم بما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ (١) ، وقال سبحانه : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَى اللَّهِ ، عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ (٣) . وهؤلاء موّهوا على السالكين التوحيد الذى أنزل اللّه تعالى به الكتب ، وبعث به الرسل - بالاتحاد الذى سموه توحيداً ، وحقيقته تعطيل الصانع وجحود الخالق .

---

(١) الأحزاب : ٤٥ - ٤٦ (٢) يوسف : ١٠٨ (٣) الشورى : ٥٢ - ٥٣

● رأى ابن تيمية فى ابن عربى :

وإنما كنت قديماً ممن يُحسن الظن بابن عربى ويعظمه لما رأيت فى كتبه من الفوائد مثل كلامه فى كثير من الفتوحات ، والكنة ، والمحكم المربوط ، والدرة الفاخرة ، ومطالع النجوم ... ونحو ذلك . ولم نكن بعد اطلعنا على حقيقة مقصوده ولم نطالع الفصوص ونحوه ، وكنا نجتمع مع إخواننا فى اللّه نطلب الحق ونتبعه ونكشف حقيقة الطريق ، فلما تبيَّن الأمر عرفنا نحن ما يجب علينا ، فلما قَدِمَ من المشرق مشايخ معتبرون وسألوا عن حقيقة الطريقة الإسلامية والدين الإسلامى وحقيقة حال هؤلاء وجب البيان ، وكذلك كتب إلينا من أطراف الشام رجال سالكون أهل صدق وطلب أن أذكر النكت الجامعة لحقيقة مقصودهم ، والشيخ أيّده اللّه تعالى بنور قلبه وذكاء نفسه وحق قصده من نصحه للإسلام وأهله ولإخوانه السالكين يفعل فى ذلك ما يرجو به رضوان اللّه سبحانه ومغفرته فى الدنيا والآخرة .

● الاتحاد والحلول المطلق والمعيَّن :

هؤلاء الذين تكلموا فى هذا الأمر لم يُعرف لهم خبر من حين ظهرت دولة التتار وإلاّ فكان الاتحاد القديم هو الاتحاد المعيَّن ، وذلك أن القسمة رباعية ، فإنَّ كل واحد من الاتحاد والحلول إما معيَّن فى شخص وإما مطلق ، أما الاتحاد والحلول المعيَّن كقول النصارى والغالية فى الائمة من الرافضة وفى المشايخ من جهّال الفقراء والصوفية ، فإنهم يقولون به فى معنى إما بالاتحاد كاتحاد الماء واللبن وهو قول اليعقوبية وهم السودان ومن الحبشة والقبط ، وإما بالحلول وهو قول النسطورية ، وإما بالاتحاد من وجه دون وجه وهو قول الملكانية [1] .

---

(١) اليعقوبية - أو السريان - : هم اليوم المسيحيون أبناء اللُّغة السريانية ، انفصلت منهم جماعة عن كنيسة أنطاكية على إثر المجادلات اللاهوتية حول طبيعة المسيح ، وتنظمت فى سوريا وفى بلاد ما بين النهرين بفضل يعقوب البردعى ، فى القرن السادس الميلادى تأسست كنيسة يعرف أبناؤها باليعاقبة ، كما تفرعت منهم فى القرن الخامس الكنيسة المارونية ، وقد تكونت فى القرن السابع عشر كنيسة سريانية كاثوليكية ، وفى الهند طائفة لا يستهان بها من السريان هم المالنكاريون ، وطقوس السريان الكنسية مأخوذة من الطقس الأنطاكى ويستعمل فيها اللغة السريانية . =

وأما الحلول المطلق : وهو أن اللّه تعالى بذاته حال فى كل شىء ، فهذا تحكيه أهل السُنّة والسَلَف عن قدماء الجهمية ، وكانوا يكفرونهم بذلك .

= والنسطورية : أو الآشوريون - : طائفة من المسيحيين ينتسبون الى نسطور بطريرك القسطنطينية ، قطنوا فى كردستان بين الموصل وأرمينية إلى أن تبدد شملهم بعد حرب عام ١٩١٤ ، ازدهرت عندهم الحياة الرهبانية فأوفدوا المبشرين إلى آسيا الشرقية فى القرن السادس الميلادى ، ونشروا المسيحية فى إيران والهند والصين ، وانضم قسم منهم إلى الكثلكة فى القرن السادس عشر وهم الكلدان .

والملكانية : هو الاسم الذى أطلقه العرب على مسيحيى سوريا الذين خضعوا لقرارات المجمع الخلقيدونى عام ٤٥١ م ، وهم فى ذلك من جهة الإمبراطور ، انضم فرع منهم إلى الكنيسة الكاثوليكية فى القرن الثامن عشر ، والفرع الثانى هم الروم الأرثوزكس ، ولغتهم الطقسية اليونانية والعربية .

ويرى اليعقوبية من النصارى أن اللاهوت والناسوت يؤلفان فى المسيح طبيعة واحدة ، ويزعمون أن الكلمة انقلبت لحماً ودماً ، فصار الإله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده بل هو هو ، فإرادة اللّه وفعله هما إرادة المسيح وفعله .

هذا على حين أن الملكانية يميزون بين طبيعتين فى المسيح : اللاهوت والناسوت ، ويزعمون أن مريم ولدت إلهاً أزلياً ، وأن القتل والصلب وقع فى اللاهوت والناسوت ، وأطلقوا اسم الأبوة على اللّه ، والنبوة على المسيح .

أما النسطورية ، فكانوا أكثر تدقيقاً من الملكانية فى التمييز بين الطبيعتين ، فأثبتوا للمسيح خصائص الإنسان فى الوجود والإرادة والعقل ، مميزين بين هذا وبين ما للعنصر اللاهوتى ، زاعمين أن اللّه سبحانه ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة ، ويدّعون أن هذه الأقانيم ليست زائدة عن الذات ، ولا هى هو ، وأن الكلمة اتحدت بجسد عيسى لا على طريق الامتزاج كالملكانية ، ولا الظهور له كاليعقوبية ، ولكن كإشراق الشمس على بللور أو النقش فى الخاتم .

ولمزيد من التوضيح : انظر فى التعريف بهذه الفرق ونشأتها وتطورها كتابنا : « من وصايا القرآن الكريم » - نشر دار التراث العربى - الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧ ، ص ٨٢ وما بعدها .

(البلتاجى)

وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام ، فما علمت أحداً سبقهم إليه إلا مَن أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة ، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق ، وأن وجود ذات الله خالق السموات والارض هى نفس وجود المخلوقات ، فلا يُتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره ، ولا أنه رب العالمين ، ولا أنه غنى وما سواه فقير ، لكن تفرَّقوا على ثلاثة طرق ، وأكثر مَن ينظر فى كلامهم لا يفهم حقيقة أمرهم لأنه أمر مبهم .

الأول : أن يقولوا إنَّ الذوات بأسرها كانت ثابتة فى العدم ذاتها أبدية أزلية ، حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات ، وأنَّ وجود الحق فاض على تلك الذوات ، فوجودها وجود الحق وذواتها ليست ذوات الحق ، ويُفرِّقون بين الوجود والثبوت ، فما كنتَ به فى ثبوتك ظهرتَ به فى وجودك . ويقولون : إنَّ الله سبحانه لم يعط أحداً شيئاً ولا أغنى أحداً ولا أسعده ولا أشقاه ، وإنما وجوده فاض على الذوات فلا تحمد إلاَّ نفسك ولا تذم إلاَّ نفسك ، ويقولون : إنَّ هذا هو سر القَدَر وأن الله تعالى إنما علم الأشياء من جهة رؤيته لها ثابتة فى العدم خارجاً عن نفسه المقدَّسة ، ويقولون : إنَّ الله تعالى لا يقدر أن يُغيِّر ذَرَّة من العالَم ، وأنهم قد يعلمون الأشياء من حيث علمها الله سبحانه فيكون علمهم وعلم الله تعالى من معدن واحد ، وأنهم يكونون أفضل من خاتم الرسل من بعض الوجوه ، لأنهم يأخذون من المعدن الذى أخذ منه المَلَك الذى يوحى به الرسل ، ويقولون : إنهم لم يعبدوا غير الله ولا يُتصور أن يعبدوا غير الله تعالى ، وإن عُبَّاد الأصنام ما عبدوا إلا الله سبحانه ، وإن قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُواْ إِلا إِيَاهُ ﴾ (١) معنى حكم لا معنى أمر ، فما عُبِدَ غير الله فى كل معبود ، فإن الله تعالى ما قضى بشىء إلاَّ وقع ، ويقولون : إن الدعوة إلى الله تعالى مكر بالمدعو فإنه ما عدم من البداية ، فيُدعَى إلى الغاية ، وأن قوم نوح قالوا : ﴿ لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَداً وَلَا سُوَاعاً ﴾ (٢)

---

(١) الإسراء : ٢٣ (٢) نوح : ٢٣

obeikandi.com

لأنهم لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منهم ، لأن للحق فى كل معبود وجهاً يعرفه مَن عرفه وينكره مَن أنكره ، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء فى الصورة المحسوسة ، وكالقوى المعنوية فى الصورة الروحانية ، وأن العارف منهم يعرف مَن عَبَدَ وفى أى صورة ظهر حتى عُبِد ، فإن الجاهل يقول : هذا حجر وشجر ، والعارف يقول : هذا محل إلهى ينبغى تعظيمه فلا يقتصر ، فإن النصارى إنما كفروا لأنهم خصَّصوا ، وأن عُبَّاد الأصنام ما أخطأوا إلاَّ من حيث اقتصارهم على عبادة بعض المظاهر ، والعارف يعبد كل شىء ، واللّه يعبد أيضاً كل شىء ، لأن الأشياء غذاؤه بالأسماء والأحكام وهو غذاؤها بالوجود ، وهو فقير إليها وهى فقيرة إليه ، وهو خليل كل شىء بهذا المعنى ، ويجعلون أسماء اللّه الحسنى هى مجرد نسبة وإضافة بين الوجود والثبوت وليست أموراً عدمية ، ويقولون : « من أسمائه الحُسنى العلى عن ماذا وما ثَمَّ إلاَّ هو ؟ وعلى ماذا وما ثَمَّ غيره ؟ فالمسمى محدثات وهى العلية بذاتها وليست إلا هو ، وما نكح سوى نفسه ، وما ذبح سوى نفسه . والمتكلم هو عين المستمع » ، وأن موسى إنما عتب على هارون حيث نهاهم عن عبادة العجل لضيقه وعدم اتساعه ، وأن موسى كان أوسع فى العلم فعلم أنهم لم يعبدوا إلاَّ اللّه ، وأن أعلى ما عَبِدَ الهوى ، وأن كل من اتخذ إلهه هواه فما عَبَدَ إلاَّ اللّه . وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين وقد صدَّقه السحرة فى قوله : أنا ربكم الأعلى ، وفى قوله : ما علمتُ لكم من إلهٍ غيرى .

● متحدة الصوفية على دين فرعون :

وكنت أخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء الضالين وأقول : إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الخالق الصانع ، حتى حدثَّنى بعض عن كثير من كبرائهم أنهم يعترفون ويقولون : نحن على قول فرعون [1] ، وهذه المعانى

---

(١) كذا فى الأصل ويراجع فى رسالة إبطال وحدة الوجود (ص ١١٧) من مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام .

كلها هى قول صاحب الفصوص والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه ، والله يغفر لجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

والمقصود أن حقيقة ما تضمنه كتاب « الفصوص » المضاف إلى النبى ﷺ أنه جاء به وهو ما إذا فهم المسلم بالاضطرار (٢) أنَّ جميع الأنبياء والمرسلين وجميع الأولياء والصالحين ، بل جميع عوام أهل الملل من اليهود والنصارى والصابئين ، يبرؤن إلى الله تعالى من بعض هذا القول فكيف منه كله . ونعلم أن المشركين عُبَّاد الأوثان والكفار أهل الكتاب يعترفون بوجود الصانع ﴿ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ ﴾ (٣) ، ﴿ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ (٤) ، ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ (٥) ، ﴿ رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ﴾ (٦) . ولا يقول أحد منهم إنه عين المخلوقات ، ولا نفس المصنوعات ، كما يقوله هؤلاء ، حتى إنهم يقولون : لو زالت السموات والأرض زالت حقيقة الله . وهذا مُركب من أصلين :

أحدهما : أنَّ المعدوم شىء ثابت فى العدم ، كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة ، وهو مذهب باطل بالعقل الموافق للكتاب والسُّنَّة والإجماع ، وكثير من متكلمة أهل الإثبات كالقاضى أبى بكر كُفْر مَن يقول بهذا ، وإنما غلط هؤلاء من حيث لم يُفرِّقوا بين علم الله بالأشياء قبل كونها وأنها مثبتة عنده فى

---

(١) الحشر : ١٠ .

(٢) كذا فى الأصل وفيه ما ترى ، والمعنى أن ما فى كتاب الفصوص من أمثال ما ذُكِرَ يفهم كل مسلم أنه مخالف لدين الله على ألسنة جميع رسله وأنه مما يتبرأ منه عوام جميع الملل .

(٣) الحشر : ٢٤ (٤) الأنعام : ١

(٥) الصافات : ١٢٦ (٦) الشعراء : ٢٨

أم الكتاب فى اللوح المحفوظ ، وبين ثبوتها فى الخارج عن علم الله تعالى ، فإنَّ مذهب المسلمين أهل السُنَّة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى كتب فى اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها ، فيُفرِّقون بين الوجود العلمى وبين الوجود العينى الخارجى .

ولهذا كان أول مانزل على رسول الله ﷺ سورة : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١) ، فذكر المراتب الأربع وهى : الوجود العينى الذى خلقه ، والوجود الرسمى المطابق للفظى الدال على العلمى ، وبين أن الله تعالى علمه . ولهذا ذكر أن التعليم بالقلم ، فإنه مستلزم للمراتب الثلاثة . وهذا القول - أعنى قول مَن يقول : إن المعدوم شىء ثابت فى نفسه خارج عن علم الله تعالى - وإن كان باطلاً ودلالته واضحة لكنه قد ابتدع فى الإسلام من نحو أربعمائة سنة . وابن عربى وافق أصحابه وهو أحد أصلى مذهبه الذى فى الفصوص .

● الفرق بين ابن عربى وغيره فى الوحدة :

والأصل الثانى : أنَّ وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه . وهذا هو الذى ابتدعه وانفرد به عن جميع مَن تقدَّمه من المشايخ والعلماء ، وهو قول بقية الاتحادية ، لكن ابن عربى أقربهم إلى الاسلام وأحسن كلاماً فى مواضع كثيرة ، فإنه يفرِّق بين الظاهر والمظاهر فيقر الأمر والنهى والشرائع على ما هى عليه ، ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات ، ولهذا كثير من العُبَّاد يأخذون من كلامه سلوكهم فينتفعون بذلك وإن كانوا لا يفقهون حقائقه ، ومَن فهمها منهم ووافقه فقد تبيَّن قوله .

---

(١) العلق : ١ - ٥

● الصدر الرومى والعفيف التلمسانى :

وأما صاحبه الصدر الرومى .. فإنه كان متفلسفاً فهو أبعد عن الشريعة والإسلام ، ولهذا كان الفاجر التلمسانى الملقب بـ « العفيف » يقول : كان شيخى القديم متروحناً متفلسفاً والآخر فيلسوفاً متروحناً - يعنى الصدر الرومى - فإنه كان قد أخذ عنه ولم يدرك ابن عربى فى كتاب « مفتاح غيب الجمع والوجود » [1] وغيره ، يقول : إنَّ اللّه تعالى هو الوجود المُطلق والمعيَّن ، كما يفرق بين الحيوان المُطلق والحيوان المعيَّن ، والجسم المُطلق والجسم المعيَّن . والمُطلق لا يوجد إلاَّ فى الخارج مطلقاً ، لا يوجد المُطلق إلاَّ فى الأعيان الخارجة . فحقيقة قوله : إنَّه ليس للّه سبحانه وجود أصلاً ولا حقيقة ولا ثبوت إلاَّ نفس الوجود القائم بالمخلوقات . ولهذا يقول هو وشيخه : إنَّ اللّه تعالى لا يُرَى أصلاً ، وأنه ليس له فى الحقيقة اسم ولا صفة ، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجوده - تعالى اللّه عما يقولون .

وأما الفاجر التلمسانى .. فهو أخبث القوم وأعمقهم فى الكفر ، فإنه لا يُفرِّق بين الوجود والثبوت كما يُفرِّق ابن عربى ، ولا يُفرِّق بين المُطلق والمعيَّن كما يُفرِّق الرومى ، ولكن عنده ما ثَمَّ غير ولا سوى بوجه من الوجوه . وأن العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوباً ، فإذا انكشف حجابه رأى أنه ما ثَمَّ غير يبين له الأمر . ولهذا كان يستحل جميع المحرَّمات حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول : البنت والأم والأجنبية شىء واحد ليس فى ذلك حرام علينا ، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم . وكان يقول : القرآن كله شرك ليس فيه توحيد ، وإنما التوحيد فى كلامنا . وكان يقول : أنا ما أمسك شريعة واحدة . وإذا أحسن القول يقول : القرآن يوصل إلى الجنة ، وكلامنا يوصل إلى اللّه تعالى ، وشرح الأسماء الحُسنى على هذا الأصل الذى له . وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء ،

---

(١) قوله : فى كتاب ... إلخ القطع غير متجه ، وكتاب مفتاح غيب الجمع والوجود لصدر الدين الرومى القونوى هذا مراد شيخ الإسلام نقل مشاهد من كتابه هذا على ضلالته .

وشعره فى صناعة الشعر جيد ولكنه كما قيل : « لحم خنزير فى طبق صينى » ، وصنَّفَ للنصيرية [1] عقيدة . وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه .

● ابن سبعين وابن الفارض والبلبانى :

وأما ابن سبعين .. فإنه من البدو والاحاطة يقول أيضاً بوحدة الوجود وأنه ما ثَمَّ غير ، وكذلك ابن الفارض فى آخر « نظم السلوك » لكن لم يصرح هل يقول بمثل قول التلمسانى أو قول الرومى أو قول ابن عربى ، وهو إلى كلام التلمسانى أقرب ، لكن ما رأيتُ فيهم مَن كفر هذا الكفر الذى ما كفره أحد قط مثل التلمسانى وآخر يقال له « البلبانى » من مشايخ شيراز ومن شعره :

وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه عينه

وأيضاً :

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ... ويفهم هذا السر مَن هو ذائقه

وأيضاً :

وتلتذ إن مرت على جسدى يدى ... لأنى فى التحقيق لست سواكمُ

وأيضاً :

مـا بال عيسك لا يقـر قرارها ... وإلام ظلك لا ينى متنقلا

فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن ... إلاَّ إليك إذا بلغت المنزلا

وأيضاً :

ما الأمر إلاَّ نسق واحد ... ما فيه مـن حمـد ولا ذم

وإنما العادة قد خُصِّصت ... والطبع والشارع فى الحكم

---

(١) للتعريف بالنصيرية انظر هامش ص ٧٥ من هذا الجزء (البلتاجى) .

(٢) للتعريف بالتلمسانى وابن الفارض وابن سبعين انظرهامش ص ١١٢ ، ١١٤ من هذا الجزء (البلتاجى)

وأيضاً :

يا عاذلي أنت تنهاني وتأمرني والوجد أصدق نهّاءً وأمّارِ

فإن أطعك وأعص الوجد عدت عمى عن العيان إلى أوهام أخبارِ

فعين ما أنت تدعوني إليه إذا حققته تره النهيُّ ياجاري

وأيضاً :

وما البحر إلاّ الموج لا شيء غيره وإن فرقته كثرة المتعددِ

إلى أمثال هذه الأشعار ، وفى النثر ما لا يُحصى ، ويوهمون الجهّال أنهم مشايخ الإسلام وأئمة الهُدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق فى الأمة مثل سعيد بن المسيب والحسن البصرى وعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس والأوزاعى وإبراهيم بن أدهم وسفيان الثورى والفضيل بن عِياض ومعروف الكرخى والشافعى وأبى سليمان وأحمد بن حنبل وبِشر الحافى وعبد الله بن المبارك وشقيق البلخى ومَن لا يُحصى كثرة - إلى مثل المتأخرين مثل الجنيد بن محمد القواريرى وسهل بن عبد الله التسترى وعمر بن عثمان المكى ومَن بعدهم - إلى أبى طالب المكى إلى مثل الشيخ عبد القادر الكيلانى والشيخ عدى والشيخ أبى البيان والشيخ أبى مدين والشيخ عقيل والشيخ أبى الوفاء والشيخ رسلان والشيخ عبد الرحيم والشيخ عبد الله اليونينى والشيخ القرشى وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز والشام والعراق ومصر والمغرب وخراسان من الأولين والآخرين .

• تكفير مشايخ الصوفية المهديين للاتحادية :

كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومَن هو أرجح منهم ، وأن الله سبحانه ليس هو خلقه ولا جزءاً من خلقه ولا صفة لخلقه ، بل هو سبحانه وتعالى مميَّز بنفسه المقدَّسة ، بائن بذاته المعظَّمة عن مخلوقاته ، وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، وعليه فَطَرَ الله تعالى عباده وعلى ذلك دلت العقول .

وكثيراً ما كنتُ أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتار واندراس شريعة الإسلام وأن هؤلاء مقدمة الدجّال الأعور الكذّاب الذى يزعم أنه هو اللّه ، فإنّ هؤلاء عندهم كل شىء هو اللّه ولكن بعض الأشياء أكبر من بعض وأعظم . وأما على رأى صاحب « الفصوص » ، فإنّ بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم لعظم ذاته الثابتة فى العدم . وأما على رأى الرومى فإنّ بعض المتعينات يكون أكبر ، فإنّ بعض جزئيات الكلى أكبر من بعض . وأما على البقية فالكل أجزاء منه ، وبعض الجزء أكبر من بعض . فالدجّال عند هؤلاء مثل فرعون من كبار العارفين وأكبر من الرُسُل بعد نبينا محمد ﷺ وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فموسى قاتَلَ فرعون الذى يدعى الربوبية ، ويُسَلِّط اللّه تعالى مسيح الهُدى - الذى قيل فيه إنه اللّه تعالى وهو برىء من ذلك - على مسيح الضلالة الذى قال إنه اللّه .

● حكمة نفى العور عن اللّه تعالى :

ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبى ﷺ قال : « إنه أعور » [1] ، وكونه قال : « واعلموا أنّ أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » ، وابن الخطيب أنكر أن يكون النبى ﷺ قال هذا لأن ظهور دلائل الحدوث والنقص على الدجّال أبين من أن يُستدل عليه بأنه أعور ، فلما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية وتدبرنا ما وقعت فيه النصارى والحلولية ، ظهر سبب دلالة النبى ﷺ لأمته بهذه العلامة فإنه بُعِثَ رحمة للعالمين ، فإذا كان كثير من الخلق يُجَوِّز ظهور الرب فى البَشر ، أو يقول إنه هو البَشر-كان الاستدلال على ذلك بالعور دليلاً على إنتفاء الإلهية عنه .

وقد خاطبنى قديماً شخص من خيار أصحابنا كان يميل إلى الاتحاد ثم تاب منه وذكر هذا الحديث فبيّنتُ له وجهه ، وجاء إلينا شخص كان يقول إنه خاتم

---

(١) تتمة الحديث : « وإنّ اللّه ليس بأعور » رواه الشيخان من حديث ابن عمر وهذا لفظ البخارى ، وهذه الجملة هى محل التعجب الذى حمل ابن الخطيب - وهو الفخر الرازى - على إنكار الحديث .

الأولياء فزعم أن الحلاج لما قال : أنا الحق ، كان الله تعالى هو المتكلم على لسانه كما يتكلم الجنى على لسان المصروع ، وأن الصحابة لما سمعوا كلام الله تعالى من النبى ﷺ كان من هذا الباب . فبيَّنتُ له فساد هذا وأنه لو كان كذلك كان الصحابة بمنزلة موسى بن عمران ، وكان مَن خاطبه هؤلاء أعظم من موسى ، لأن موسى سمع الكلام الإلهى من الشجرة وهؤلاء يسمعون من الجن الناطق . وهذا يقوله قوم من الاتحادية لكن أكثرهم جُهَّال لا يُفرِّقون بين الاتحاد العام المطلق الذى يذهب إليه الفاجر التلمسانى وذووه ، وبين الاتحاد المعيّن الذى يذهب إليه النصارى والغالية .

● كفر قدماء الجهمية كالاتحادية :

وقد كان سَلَف الأمة وسادات الأئمة يرون كفر الجهمية [1] أعظم من كفر اليهود كما قال عبد الله بن المبارك والبخارى وغيرهما ، وإنما كانوا يلوحون تلويحاً وقَلَّ أن كانوا يصرحون بأن ذاته فى مكان .

وأما هؤلاء الاتحادية فهم أخبث وأكفر من أولئك الجهمية ، ولكن السَلَف والأئمة أعلم بالإسلام وبحقائقه ، فإن كثيراً من الناس قد لا يفهم تغليظهم فى ذم المقالة حتى يتدبرها ويُرزق نور الهُدى ، فلما اطلع السَلَف على سر القول نفروا منه ، وهذا كما قال بعض الناس : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً ، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شىء . وذلك لأن متكلمهم ليس فى قلبه تألُّه ولا تعبد ، فهو يصف ربه بصفات العدم والموات .

وأما المتعبد ففى قلبه تألُّه وتعبد ، والقلب لا يقصد إلا موجوداً لا معدوماً فيحتاج أن يعبد المخلوقات ، إما الوجود المطلق ، وإما بعض المظاهر كالشمس والقمر والبَشر والأوثان وغير ذلك ، فإن قول الاتحادية يجمع كل شرك فى العالَم ، وهم لا يوحِّدون الله سبحانه وتعالى وإنما يوحِّدون القَدْر المشترك بينه وبين المخلوقات ، فهم بربهم يعدلون . ولهذا حدَّث الثقة أن ابن سبعين كان يريد الذهاب إلى الهند وقال إن أرض الإسلام لا تسعه ، لأن الهند مشركون يعبدون كل شىء حتى النبات والحيوان .

---

(١) للتعريف بالجهمية ، انظر هامش ص ١١٧ من هذا الجزء .

● المعطلون والاتحاديون :

وهذا حقيقة قول الاتحادية ، وأعرف ناساً لهم اشتغال بالفلسفة والكلام وقد تألّهوا على طريق هؤلاء الاتحادية فإذا أخذوا يصفون الرب سبحانه بالكلام قالوا : ليس بكذا ، ووصفوه بأنه ليس هو رب المخلوقات كما يقوله المسلمون ، لكن يجحدون صفات الخالق التى جاءت بها الرسل عليهم السلام ، وإذا صار لأحدهم ذوق ووجد تألّه وسلك طريق الاتحادية وقال إنه هو الموجودات كلها . فإذا قيل له : أينْ ذلك النفى من هذا الإثبات ؟ قال : ذلك وجدى ، وهذا ذوقى . فيقال لهذا الضال : كل ذوق ووَجْد لا يطابق الاعتقاد فأحدهما أو كلاهما باطل ، وإنما الأذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات ، فإن علم القلب وحاله متلازمان ، فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوَجد المحبة والحال . ولو سلك هؤلاء طريق الأنبياء والمرسلين عليهم السلام الذين أُمِرُوا بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ووصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله ، واتّبعوا طريق السابقين الأولين ، لسلكوا طريق الهُدى ووجدوا برد اليقين وقُرّة العين ، فإن الأمر كما قال بعض الناس : إن الرسل جاؤا بإثبات مفصّل ونفى مُجمل ، والصابئة المعطلة جاؤا بنفى مفصّل وإثبات مُجمل ، فالقرآن مملوء من قوله تعالى فى الإثبات : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) ، و ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) ، وأنه ﴿ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٣) ، ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ (٤) وفى النفى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (٥) ، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (٦) ، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٧) ، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٨) .

---

(١) البقرة : ٢٣١ (٢) البقرة : ٢٠ (٣) الحج : ٦١

(٤) غافر : ٧ بلفظ : ﴿ وَسِعْتَ ﴾ . (٥) الشورى : ١١

(٦) الإخلاص : ٤ (٧) مريم : ٦٥ (٨) الصافات : ١٨٠ - ١٨١

وهذا الكتاب مع أنى قد أطلت فيه الكلام على الشيخ - أيَّده الله تعالى بالإسلام ونَفع المسلمين ببركة أنفاسه وحسن مقاصده ونور قلبه - فإن ما فيه نكت مختصرة ، فلا يمكن شرح هذه الأشياء فى كتاب ، ولكن ذكرت للشيخ - أحسنَ الله تعالى إليه - ما اقتضى الحال أن أذكره - وحامل الكتاب مستوفز عجلان ، وأنا أسأل الله العظيم أن يُصلح أمر المسلمين عامتهم وخاصتهم ، ويهديهم إلى ما يقربهم ، وأن يجعل الشيخ من دعاة الخير الذين قال الله سبحانه فيهم : ﴿ وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [1] .

« انتهى »

* * *

(١) آل عمران : ١٠٤

obeikandl.com